

كلام الله عند الأشاعرة

أهداف الدرس

1. أن أتعرف معنى كلام الله عند الأشاعرة؛
2. أن أتبين وسطية المذهب الأشعري في مسألة كلام الله تعالى؛
3. أن أتمثل مقاصد كلام الله تعالى: أوامر ونواهي وأخباراً في سلوكي اليومي.

تمهيد

اتفق علماء الكلام على أن الله تعالى متكلم، ولكنهم اختلفوا في معنى كلامه، وهل هو قديم أم محدث؟ وقد اشتد الخلاف في المسألة بين المعتزلة وأهل الحديث إلى أن قام الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله فقدم مذهباً وسطاً بينهما.

فما مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام؟ وأين تتجلى وسطيته في ذلك؟

نص الانطلاق

قال العلامة ابن خُمير السبتي رحمه الله: «فصح أن الكلام الحقيقي لنا هو كلام النفس بشهادة العقل والنقل، وما سواه من الأصوات والإشارة والرموز وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام لا نفس الكلام، ثم لو سلمنا للمعتزلة هذه الأقوال جدالاً لقننا: الكلام الذي تثبتونه للباري - تعالى - حروفاً وأصواتاً مخلوقة لا يخلو أن يخلقها في نفسه، أو يخلقها في غيره، أو لا يخلقها لا في محل، فإن قالوا يخلقها في نفسه، للزمهم ما لزم المشبهة حرفاً بحرف، وهم يابون ذلك، وإن قالوا يخلقها في غيره وجب أن يكون ذلك الغير متكلماً بها؛ إذ الصفة لا تحكم إلا فيما قامت به، ولا يتصف بها إلا من قامت به، وإذا كان الغير متكلماً بها لزم أن تقول الشجرة لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ و﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا ألزم لهم من حبل الوريد...».

[مقدمات المراشد إلى علم العقائد، ص 209].

الفهم

الشرح:

- **كلام النفس:** المعنى القائم بالنفس .
- **المشبهة:** الذين شبهوا الله بخلقه .

استخلاص المضامين:

- أستخلص معنى كلام الله تعالى عند الأشاعرة وأدلتهم .
- أستخرج وسطية المذهب الأشعري في صفة الكلام .

التحليل

اشتمل الدرس على أربع مسائل:

المسألة الأولى: معنى كلام الله عند الأشاعرة

اتفق علماء الكلام على أن الله سبحانه متكلم ، ولكنهم اختلفوا في معنى كلامه تعالى ؛ فذهب الأشاعرة إلى أن الكلام الحقيقي هو كلام النفس ، وهو صفة أزلية قائمة بذات الباري تعالى ، ليست بصوت ولا حرف ، منزهة عن التقديم والتأخير ، والإعراب والبناء ، والبعض والكل ، والسكوت النفسي ؛ بأن يترك الكلام مع القدرة عليه . والكلام بهذا المعنى صفة من صفات المعاني السبع عند السادة الأشاعرة .

وكما يطلق كلام الله على الكلام النفسي القديم بمعنى الصفة القائمة بذاته تعالى ، فإنه يطلق على الكلام اللفظي ؛ أي كلام الله المثلُّو المسموع لنا كالقرآن ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة 6] ، ويطلق على المكتوب في المصاحف ، واختلف في إطلاقه على هذه المعاني فقل: بالاشتراك ، وقيل هو حقيقي في النفسي مجاز في اللفظي ، وهو بهذا المعنى عبارة عن الكلام لا نفس الكلام ، كما قال ابن خمير رحمه الله .

المسألة الثانية: استدلال الأشاعرة على أن كلام الله قديم

استدل الأشاعرة على ثبوت صفة الكلام للباري تعالى وكونه قديما- وأن ما سواه من الأصوات والإشارة والرموز وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام لا نفس الكلام- بشهادة العقل والنقل؛ فأما شهادة النقل فالوحي الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والذي

يتألف في معظمه من «الأمر والنهي والوعد والوعيد عليهما»، ولا معنى لذلك لولا وجود «أمرناه واعد متوعد»، وهذه مسألة بديهية لا تحتاج إلى نظر كما قال ابن خمير رحمه الله.

كما استدلوا على قدم كلام الله تعالى بما قاله المحققون، وبما صح عند أهل اللغة الذين يجعلون اللسان دليلا على ما في الفؤاد من المعاني، ومما ورد في ذلك قول القائل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا**

ومما استدل به الأشاعرة في إثبات الكلام النفسي من الأدلة النقلية قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هِيَ أَنفُسِنَا﴾ [المجادلة: 8].

وأما شهادة العقل فإنه يلزم على قول المعتزلة والمشبهة (المجسمة) عدة محالات؛ فإن كان متكلماً بحرف وصوت خلقه في ذاته صار محلاً للحوادث، وإن كان مخلوقاً في غيره كان ذلك الغير هو المتكلم، وهكذا... وهي محالات ألزم لهم من حبل الوريد.

المسألة الثالثة: رد الأشاعرة لمذهب المجسمة والمعتزلة في كلام الله

منشأ الخلاف بين علماء الكلام في هذا الباب يرجع إلى معنى الكلام؛ فالمعتزلة والمشبهة يرون أن الكلام حروف وأصوات، وأبو الحسن الأشعري وأصحابه يعتبرونه صفة قديمة قائمة بذات الباري عز وجل وهو الكلام النفسي، وما سواه من الأصوات والإشارة والرموز وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام لا نفس الكلام.

وقد ذكر ابن خمير أن المجسمة يزعمون أن الله تعالى متكلم بحرف وصوت خلقه في ذاته، وأن المعتزلة يرون أن الله تعالى خلقه في مخلوق من مخلوقاته، ويلزم من كون كلامه تعالى حروفاً وأصواتاً مخلوقة أن تكون مخلوقة إما في ذاته، وذلك يجعله ظرفاً للحوادث وهو محال، وإما في غيره فوجب أن يكون ذلك الغير هو الذي يتكلم به وعليه فإن هذا المخلوق سيصبح هو المتكلم وليس الله تعالى إذ الصفة لا تحكم إلا فيما قامت به، ولا يتصف بها إلا من قامت به، ويلزم بناء على ذلك أن تكون الشجرة قد قالت لموسى عليه السلام ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 13] وفي هذا محالات، وإما لا في محل فيلزم منه محالات عدة، فصح مذهب الأشاعرة رحمهم الله.

المسألة الرابعة: وسطية المذهب الأشعري في كلام الله تعالى

مذهب الأشاعرة في كلام الله عز وجل مذهب وسطي بين التشبيه والتعطيل، معقول ومقبول لدى جمهور المسلمين، ينتهي إلى الإقرار بأن كلام الله تعالى من حيث هو كلام نفسي قديم وصفة قائمة بذاته تعالى، ومن حيث هو ألفاظ مسموعة أو مقروءة أو مكتوبة مخلوق ومحدث؛ لأنها صادرة من مُحدث هو القارئ التَّالِي، وعليه فهو محدث التلاوة والكتابة لا النزول، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ كَلِمٍ مِنْ رَبِّهِمْ فَهُوَ كَذِبٌ﴾ [الأنبياء 2]، ومنع بعض الأشاعرة إطلاق كونه حادثاً إلا في مقام التعليم.

التقويم

1. أحدد معنى كلام الله عند الأشاعرة، وهل هو قديم أو حادث؟
2. لماذا رد الأشاعرة مذهب المعتزلة في مسألة كلام الله تعالى؟
3. أبرز وسطية المذهب الأشعري في مسألة كلام الله.

الاستثمار

قال الإمام السنوسي رحمه الله: «وأما برهان السمع له تعالى والبصر والكلام فالكتاب والسنة والإجماع، وأيضا لو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها»
[شرح أم البراهين بحاشية الدسوقي ص 223].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أستعرض أدلة من الكتاب والسنة على ثبوت صفة الكلام لله تعالى.
2. أوضح الدليل العقلي الوارد في النص على ثبوت كلام الله تعالى.

الإعداد القبلي

أعد للدرس القادم، وأبحث عن الآتي:

1. أدلة الأشاعرة النقلية والعقلية على إمكانية رؤية الله تعالى في الآخرة.
2. مذهب المعتزلة في المسألة، ورد الأشاعرة عليهم.